١٥- شفاعات ذوي القربى

قال الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه[١]-:

العلمُ خيرٌ من المال.

العلم يحرسُك وأنت تحرُسُ المال.

العلم يزكو على العمل والمال تنقصُه النفقة.

العلم حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

صنيعةُ المالِ تزولُ بزواله، ومحبةُ العلمِ دينٌ يدان بها.

---

١) صفة الصفوة: ١/ ١٣٧.

obeikandl.com

العلمُ يكسبه الطاعة في حياته وجميلُ الأحدوثة بعد مماته.

مات خُزَّانُ المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهمُ مفقودة، وأمثالُهم في القلوب موجودة.

هذا رأي الإمام علي - رضي الله عنه - في العلم الذي هو رسالة وزارة المعارف.

وبهذا الأثر الخالد كنت أنظر لرجال وزارة المعارف فهم ذوو القربى في العلم؛ لأن العلم رَحِمٌ بين أهله، وهم بُناة المستقبل، وصُناع الغد وهم العاملون في حقول الفضيلة، وأنهار الخير.

ورجالٌ هذه بضاعتهم، وتلك صفتهم فإن التعامل معهم يجب أن يسوده الاحترام والتقدير، والعمل بينهم يلزمه القدوة والعدل.

ولهذا كنت أجد صعوبة في التوفيق بين مطالب شخصية تَعِنُّ لأحدهم، وعدالة يجب أن يعامل بها الجميع، خاصة والوزارة تنشد رضا المعلمين وتعمل على إكرام المربين.

ومن الصور التي ظلت في الذاكرة أن بعض الإخوة العاملين في حقل التعليم من معلمين ومديري مدارس وموجهين وغيرهم من رجال التربية والتعليم يرون - ويحق لهم ذلك - أن لهم حظوة ومكانة، وأن لهم أولوية ودالة؛

ولهـذا كم يؤلمني عندمـا يزورني أحـدهم في المكتب ويطلب تعيين ابنه أو قريبه في هذا المكان أو ذاك أو قبول ابنه أو أحد أقاربه في هذه الكلية أو تلك، ويظن أنني أملك استثناءه من الضوابط والتعليمات ويعتقد أن الأمر يسير؟.

زارني أحد الموجهين في المكتب وقدم خطاباً يقول فيه:

سعادة وكيل الوزارة..

ولدي... هو باكـورة العـمـر الذي أوشك على الأُفُول، وآمل أن تقـبل شفاعتي فـيه فهي -والله - صادقة.

وأرفق باستدعائه قصـيدة تحكي رحلة العمر

مع التعليم يقول فيها:

بعتُ للنشء والشباب حياتي
ورضيت الجزاء بعد مماتي
سوف ألقى من الإله ثوابي
فهو ربي يمن بالحسنات
وكفاني من الزمان جهاد
وكفاح بصائب الخطوات
وكفاني كم شاعر وأديب
ومربٍ وصلتهم بصلاتي
وكفاني محبتي لبلادي
فهي عندي من أعظم الغايات

obeikandl.com

شرف أن قضيت عمراً طويلاً

في ثلاثين من سنيّ حياتي

ويتضح من قصيدته أنه قضى ثلاثين عامًا في خدمة التعليم ويرجو أن تشفع له هذه السنون في الاستجابة لطلبه.

وكنت حائرًا بين نظام وعواطف، وبين عدالة وتربية للجهاز التنفيذي، ورغبة هؤلاء الفرسان الذين أمضوا العمر في خدمة التعليم.

وصورةٌ أخرى لموجِّهَيْن من خيرة الموجهين في تعليم الرياض، فقد زارني الرجلان ولهما دالة ومكانة، وطلبا نقل ابنيهما اللذين عُينا

مدرسين في منطقة بعيدة، ولكني لم أستطع فالنظام لا يسمح بذلك ولا يمكن استثناؤهما وقد استغرب الرجلان وعاتبا عتاب المحب ولاما لوم الصديق، وعرفت في نظرتيهما الوادعتين ذلك الأسى والألم.

وكم كان ألمي أكبر وأسفي أقوى لعدم الاستجابة لرغبتهما، وكتبت لهما رسالة اعتذار لأزيل تلك الجفوة فعطاؤهما أنْشُدُ غزارتَه وبذلهما أتمنى انهماره يقول الإمام علي - رضي الله عنه[1] -: كُلُّ شيء يعزُّ إذا نَزُر ما خلا العلم فإنه يعزُّ إذا غَزُر[2].

(١) معجم الأباء: ١/ ٦٦.

(٢) نَزُر: قل وأصبح نادراً. غَزُر: زاد وأصبح كثيراً.

وموجه تربوي آخر أسعفه البيان الشعري في عرض شفاعته لنقل ابن عمه يقول في قصيدة قدمها مع استدعاء يشرح فيه الطلب ويشير إلى لوم عمه وأبيه إذا لم يشفع يقول:

لديك أبا تركي انعتاقي وكربتي
ومنك عُقار الحقِّ هل أنت واهِبُهْ؟
فإن ابنَ عمِّي بل وعمِّي ووالدي
رأوني وجيهًا فيكَ قد عزَّ جانِبهْ
يريدون أن أسعى لديكَ بمطلب
وإنِّي وإن أُحْرِجْتُ فيه لطالِبُهْ
فحاولَني عمِّي وحين اعتَذَرْتُه
مخافةَ إحراجِ لديكَ أُجانِبُهْ

أثار أبي الشيخَ العجوزَ فلامني
وعَنَّفني حتّى تساقطَ حاجبُهْ
وشكَّك في برِّي به ومروءتي
وحَلَّفَني بالله ألاَّ أغاضِبُهْ
رأى برَّه براً يُطالُ ابنَ أمِّه
وأنَّ اعتذاريه عُقُوقٌ عواقِبُهْ
فهذا ابنُ عمِّي قد أتاكَ برغبةٍ
يُؤمِّلُ أنْ يلقى الذي هو راغِبُهْ
فإنَّكَ إن أكرمْتَني فيه أكْرمْتَ
عيونَ أبي والْتَذَّ بالنومِ جانِبُهْ

ويتضح من هذه الصُّوَر المتعددة حجم المعاناة التي يجدها المسؤول التعليمي ومدى الحساسية

التي يتعامل بها مع رجال التعليم ومنسوبيه.

ولهذا كنت معهم كما قال الشاعر المتنبي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فاليسعد النطق إن لم يسعد الحال

كنت أحاول استرضاءهم بالكلمة الطيبة والاستقبال الحسن، وأبذل الجهد برفق لإفهامهم أن الوزارة تلتزم منهج القدوة والحزم وأن النقل والتعيين يتم وفق ضوابط وأسس معلنة للجميع، وأنه في حالة التساهل مع هذا وذاك فإن التجاوزات تتابع والحجج تتوالى كيف ونحن وزارة العلم والتربية وبانية الأخلاق والقيم وصاحبة المثل والقدوة.

obeikandl.com